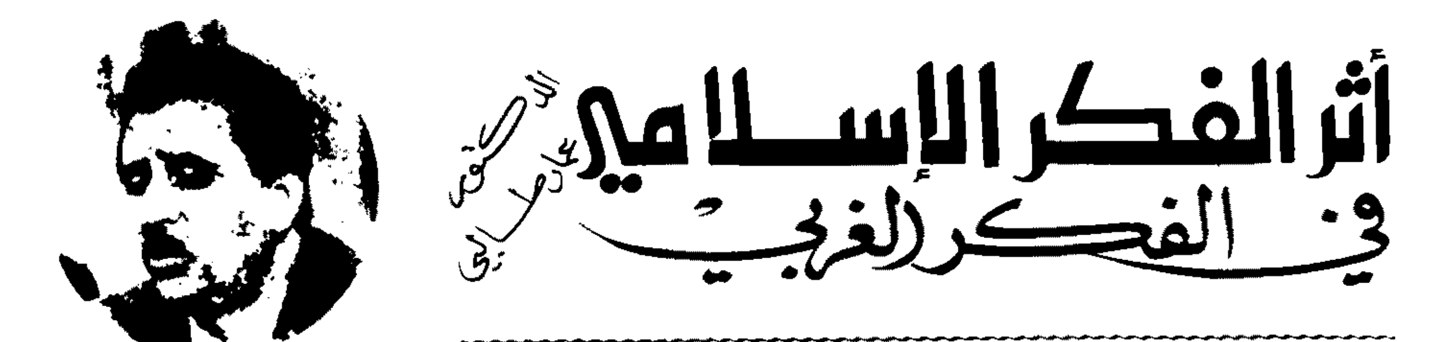


اهتم كثير من الباحثين (1) بانتقال الفكر الاسلامي الى الفكر الاوروبي عن طريق الترجمة ، ووصلوا الى كثير من الحقائق ، ولكن هناك حقائق أخرى ما تزال مجهولة ، وتحتاج الى عناية الباحثين ، وخاصة الجانب الاسلامي المحض ، وأعني بذلك تاثير القرآن الكريم ، وعلم الكلام الاسلامي بمختلف مدارسه الكبرى، والفقه أيضا.

اذ ان اهتمام الباحثين انصرف أكثر ما انصرف الى الفلاسفة الاسلاميين الذين توجد في فلسفتهم عناصر فلسفية يونانية ، ان أرسطية ، وان افلاطونية محدثة كابن سينا (ت 428 هـ) وابن رشد (ت 595 هـ)

واني أود في كلمتي هذه أن أوجه النظر ، وأشير الى الجانب الاسلامي الخالص ، وهو جانب لا ننكر وجوده في فلسفة الفلاسفة الاسلاميين المتاثرين بالفلسفة اليونانية ، وخاصة ابن رشد الحفيد ، في مؤلفاته المستقلة ، أو التي لم تكن شروحا لارسطو أو افلاطون .

1 ـ ترجمة القرآن الكريم الى اللاتينية :

كان الهدف من ترجمة القرآن الكريم الى اللاتينية هو الدفاع عن المسيحية ، واذ كان القرآن هو المصدر الاساسي للاسلام فانه من المنطقي ان تتجه العناية اليه ، وان ينقل ليعرف ، ومن خلاله يعرف الاسلام ، وعقائد المسلمين ، ويمكن أيضا التبشير بالمسيحية بين ظهرانيهم .

قامت أول محاولة لترجمة القرآن فيما نعلم بطليطلة تحت اشراف رئيس اساقفة هذه المدينة Pierre de Cluny الذي ذكر لنا مشروع الترجمة مفصلا في كتابه Contra Sectam Saracenorim وكلف لجنة للقيام بها تتكون من كاتبه Pierre de Poitiers ومن Pierre de Tolédo وهو عارف باللسان العربي ، ولكنه لا يتقن اللاتينية فساعده (2) Robertus Kelensis و Hermann الدلماسي وكان من أعضاء هذه اللجنة شخص مجهول يسمى محمدا يبدو أنه مسلم يتقن العربية .

وقد اكتشفت (3) M^lle d'Alverny الوثائق المتعلقة بهذه الترجمة ، وهي رسائل أرسل بها رئيس

(1) مثل : Goichon, La philosophie d'Avicenne et son influence en Europe médievale. Vrin, 1951 Bouyges, notes sur les philosophes arabes connus au Moyen-Age. 1924.
D'Alverny, Survance et rennaissance d'Avicenne à Venise et à Padoue, in archives d'hist. doctr. et lett. du Moyen-Age, p. 62 - 68.

(2) من جنسية انجليزية .

Deux traductions latines du Coran au Moyen-Age. Archives d'hist. lat. doct. et lett. du Moyen-Age, années 1947 - 1948.

الدير السالف الذكر الى سانت برنار سنة 1143م، ومما ورد فيها :

« أنا الفقير بيير رئيس دير كلونى المقدس ، أشرت بترجمة هذا المذهب المخالف للدين وحياة صاحبه (الحقيرة) من العربية الى اللاتينية .

وقد بذلت فى ذلك نفقات كثيرة ، وجهـــدا عظيما ، وذلك حينما كنت أقيم بأسبانيا لزيارة الاديرة الموجودة بها والمنتمية الى مؤسساتنا (4).

بدأت الترجمة فى سنة 1141 م ، وانتهت فى 5 يولية الموافق لـ : 538 هـ ، وتوجد فى هوامش الترجمة تعليقات متعددة ، منها ما يتعلق بأسماء الله الحسنى وغيرها ، مستندة الى مصادر اسلامية أخرى من تفاسير وكتب السيرة النبوية ، كسيرة ابن هشـام.

ونشرت هذه الترجمة اللاتينية سنة 1543 م ، Bibliandri, Bâle ، وأعيــد نشرها سنـــة 1550 م ، وسنة 1556 م ، بزيورخ Zurich (5)

وتمت ترجمة أخرى بنفس المدينة (طليطلة) اشرف عليهـا رئيس الاساقفـــة Jimenez, Rochigo وقام بها المعلم موريس Maître Moris وماركوس الطليطلى Marcus de Tolédo كان الاخير مــن المتقنين للسان العربى واللســان اللاتينى ، وابتدأت الترجمة فى 6 يـوليه 1209 م ، وانتهـت فى 25 يولية 1210 م ، أى فى سنة 606 هـ ، فى مـــدة ثلاث سنوات (6) .

وعثرت Mlle d'Alvriny على وثائق هامة تتعلق بهذا المترجم وترجمته ، فى مخطوط رقم 780 بمكتبة مـازز وتوجد نسخة من هذه الترجمـة أيضا ، فى ميلانو ، وباريس وهذه الترجمـة أكثر دقة وحرفية من الترجمة الاولى ، ووجدت الترجمة الثانية لدى البابا بنوا الثالث عشر ، فى القرن الثالث عشر مــن بـين المؤلفات التى اشتملت عليها مكتبته .

وتواصلت ترجمـــة القــرآن الى اللغــات الاوروبية من انجليزية وألمانية وفرنسية طوال القــرون : السادس عشر ، والسابــع عشر ، والثامن عشر مع نشرها الى يومنا هـــذا (7) ، ويلاحظ أن هوامش الترجمة الاولى والثانيـة تشتمل على معلومات تتعلق بالمصطلحات الكلامية الاسلامية كأسمـــاء الله الحسنى ، وكصفـات الافعال وصفات الذات ، الامر الذى نجده قـد أثر فى فلاسفة أوروبا مثل ألبرت الاكبر الذى استخدم هذه المصطلحات مثـــل أسمـاء اللـه الحسنى ، وجعل النـــاس يعتقدون أنها مـــن اختراعــه (8) .

كما نلاحظ أن هناك ترجمة لاتينية أخـرى ترجمها Maracci فى سنة 1689 مع النص العربى، وتعاليق من التفاسير الاسلامية ، ترجمت للبابا Innocent XI واهديت الى الامبراطـور الرومانى Léopold I بها مقدمة « للرد على القرآن » (9) .

(4) المرجع نفسه ، اعتمادا على مخطوط بيير كلونى ، رقم 1162 بمكتبة الارستال ، انظر : ص 77 .

(5) Le Saint Coran, traduction intégrale et notes, par Muhammad Hamidullah, Beyrouth 1973. p. LXIII.

(6) D'Alvery, Deux traductions du Coran, p. 135.

(7) ووصل عدد الترجمات الى اللاتينية وحدها ما بـين تـرجمة كاملة ، وجزئية الى حوالى 43 ترجمة وقد احصاها الاستاذ حميد الله فى مقدمة ترجمته للقرآن ، ص 53 كما احصى ترجمات اللغات الاخرى المختلفة .

(8) الى سعاد علي عبد الرزاق ، رسالة ماجستير حول هذا الموضوع قدمت لجامعة الاسكندرية سنة 1970 تحت اشراف الدكتور علي سامى النشار ، وهو بحث ممتاز فى هذا الجانب ، قد استفدنا منه فى هذا البحث كثيرا .

(9) انظر : مقدمة ترجمة الاستاذ عبد الله يوسف علي للقرآن الى الانجليزية .

2 ـ علـــم الكـــلام :

ذكــر مــارك الطليطلى فى مقدمة ترجمتــه للقرآن شيئا ملفتا للنظر ، وهـو أنـه ترجـم « عقيدة ابن تومرت » مهدى الموحدين (ت 524هـ) وهى عقيدة تلخص المعالم الاساسية للعقيـــدة الاسلامية ، فى صورة علم الكـلام الاشعرى ، وهى عقيدة لها رواج كبير فى المغرب الاسلامى وتمثل أساس ايديولوجية حزب الموحدين ، الذى استطاع أن يقف مدة طويلة أمام الاعداء وان يعطى نفسا جديـــدا للحضارة الاسلامية فى المغرب ، والاندلس ، وان يوحد تلك الاقطـار كلها الى برقة فى دولة واحدة ، ويذكـر مارك الطليطلى أنه انما ترجم هذه العقيدة لانها فى نظره تلخص للنصارى الاسلام فى صورة أوضح من القرآن ، قال : وقد ارتأيت من المستحسن أن اترجم هذا الكتاب الصغير لابن تومرت عن التوحيد وأن ألحقه بكتاب محمد (يقصد القرآن) كى يجد النصارى أدلة متعددة ، لمحاربة المسلمين عندما يدرسون كتابهم ... والقرآن «فى نظره» كلام متقطع ومضطرب ومتناقض ، وليس لـه أساس ، أما كتاب ابن تومرت فهو يعرض براهين قوية واضحة ويبرهن على أن الله واحد ، وأنه مبدأ كل شيء ، ونهايته ... وان المؤلف مغربى وهو من تلاميذ الغزالى الفيلسوف (10) وانهى مقدمته بقوله :

« أنا مارك شماس طليطلة ، والاسقف المختار لبرجس بناء على أمره ترجمت كتاب ابن تومرت من العربية الى اللاتينية ، كى أوضح لمن يفحص هذين الكتابين : (القرآن وعقيدة ابن تومرت) من الكاثوليك ما عند المسلمين مـن أمرار وان أمكنهم من دحضها (11) .

فهم يعلمون ان ابن تومرت تلميذ الغزالى ، اذ أنه رحل الى الشرق الاسلامى : الحجاز والشام والعراق ودرس هنالك ببغداد مدة طويلــة ، واطلع اطلاعا عميقا عـلى العلوم الاسلاميـة المختلفة كما يبدو ذلك مما وصلنا من رسائله ، وخاصة كتاب « أعز ما يطلب » (12) وتتلمـذ على كبــار الاصوليين والفقهاء ، بالمدرســة النظامية ، بالاضافة الى انه قام بحركة جهــاد أرعبت النصارى ، وألقى فى قلوبهم الفـزع ، فأرادوا ان يعرفوا أسرار هذه الحركة الاسلامية القوية ، وان يقاوموها ولذلك اختاروا ترجمة عقيدة التوحيد لابن تومرت ، والعقيدة الـتى تسمى بالمرشدة ، والتسبيح . وقد نشر النص اللاتينى لهذه العقيدة مع المقدمة التى وضعها مارك الطليطلى نفســه والتى أشرنا اليهـا فى مجلة الاندلس (سنة 1951) .

ــ ولا شك ان بعض الفلاسفة المسيحيـين ، قد اطلعـــوا عـلى هــذه الرسالة فى صورتها اللاتينية ، واستفادوا منها فى تجديد الفلسفة المسيحية ، ومما ورد فيها من افكار : من ضرورة معرفة الله بالعقل معرفة فطرية ، متمكنـة فى النفوس مما يذكرنا بالمعانى أو الافكار النظرية عند ديكارت (13) وغير ذلك .

---

(10) D'Alverny et Vajda, Marc de Tolédo. Traducteur d'Ibn Tumert, Andalus, 1951, p. 99 - 140.
Deux traductions latines du Coran au Moyen-Age, p. 123 - 24.
ورسالة سعاد علي عبد الرزاق (مخطوط بجامعة الاسكندريه) ، ص : 59 ـ 60 .

(11) D'Alverny et Vajda, Marc de Tolédo. Andalus, 1951.

(12) حققته على نسختين وهو الآن تحت الطبع بالجزائر .

(13) سعاد علي عبد الرزاق ، (رسالة بجامعـة الاسكندريه) ، ص 64 .

ومن الافكار التى وردت فى هذه العقيدة قوله : « للمعقول حد تقف عنده ولا تتعداه » (14) مما يذكرنا بالفيلسوف كانط وفكرة النظام الكونى ، والاسماء الحسنى ، التى تردد صداها عند ألبرت الاكبر (1193 ـ 1280) وريمون ليل الذى ألف قصيدة فى الاسماء الحسنى باللغة القشتالية .

كما ترجم المرشدة ، وعقيدة التوحيد ، ترجم أيضا : « تسبيح البارى سبحانه » ، ويبدو ان كثيرا من الافكار الواردة فى هذه العقائد انتقلت من خلال اللاهوت المسيحى الى الفلاسفة أيضا اذا اعترف ماركوس نفسه بقوتها ، ووضوحها ، وانها حازت قدرا عظيما عند المسلمين وتمت هذه الترجمة للعقائد فى فاتح يونية 1213 م .

وكما انتقل علم الكلام ، وعقائد الاشاعرة ، وبعض آراء المعتزلة ، والشيعة من خلال عقيدة ابن تومرت ، الى اللاتين كذلك نجد ان العقائد، والآراء الكلامية انتقلت الى اللاتين المسيحيين من خلال كتب أخرى من ذلك كتاب فى الفقه والكلام ألفه مارك الطليطلى وجد مخطوطا ملحقا بترجمة القرآن ، فى المكتبة الوطنية بباريس ، رقم 3394 ، وعنوان هذا الكتاب : تناقض الفقهاء Contrarielas Alfalica ويبدو أنها ألفت للرد على الفقهاء ، وخاصة ابن حزم الذى نقد التوراة والانجيل نقدا حاسما ، وهى رسالة يزعم بعض المؤرخين أنها كتبها أحد المسلمين الذين تنصروا ، هذا وأن الذى يهمنا هنا هو ان d'Alverny قررت بعد فحص الكتاب ودراسته ، ان كاتبه محيط بمعرفة علم الكلام والفقه ، وانه ذكر صاحب المذهب الظاهرى داود ، وذكر أبا هريرة وسفيان الثورى ، والحسن البصرى ، وأبا حنيفة (15) وصل الى اللاتين فى أوروبا كثير من المعلومات عن تاريخ المسلمين ، والسيرة النبوية ، رودريجو جيمينيس Rodrigo Jimenez كتاب Historia Arabum ، وكان ذا صلة وثيقة بالبابا Innocent III وبالرغم من كونه ذكر أشياء مزيفة كثيرة ، الا انه استعرض قصة الاسراء والمعراج وترجم معراج الرسول أيضا لألفونس الخامس ، تولى ترجمته ابراهام الطبيب الخاص لألفونس، ترجمة الى القشتالية ، ثم ترجمه بونانتور دي سيان Bonanture de Sienne الى اللاتينية ، وقد أثر هذا فى الكوميديا الالهية لدانتى ، وتوجد هذه الترجمة اللاتينية بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 6064 ، ونسخة أخرى من الترجمة فى مخطوط بالمكتبة البودليانية بأكسفورد تحت رقم 573 وتمت بتاريخ 1264 م (16) .

ومن الكتب الهامة التى نقلت تراث المسلمين الكلامى العقائدى الفلسفى كتاب دلالة الحائرين لموسى بن ميمون الاسرائيلى (1135 ـ 1204 م) الذى نقل فيه مذاهب المتكلمين المسلمين ، ومناهجهم ، وكثيرا من آرائهم ، سواء فى ذلك المعتزلة والاشاعرة ، ومن المعلوم أن المتكلمين والفلاسفة اليهود ، تأثروا بالفلسفة الاسلامية، فى جميع وجوهها الكلامية والفلسفة والصوفية، ابتداء من سعديا الفيومى (882 ـ 942) فى كتابه : « الامانات والاعتقادات » الذى اصطبغ

(14) المرجع نفسه ، ص 69 ، العقيدة والمرشدة ، منشورتان فى كتاب ابن تومرت ، الجزائر 1903 ، ص : 230 ـ 245 . وقد حققت هذا الكتاب كتاب ابن تومرت ، وهو تحت الطبع فى الجزائر .

(15) Marc de Tolédo, traduction d'Ibn Tumart, Andalus, 1951.

(16) سعاد علي عبد الرزاق (الرسالة السابقة) ، ص : 40 ـ 41 .

بصيغة اعتزالية واضحة، كما يقرر ذلك George Vajda نفسه فأخذ بالعدل والتوحيد، وأخذ بالاصول الخمسة كلها وبالعلاقة بين الشرع والعقل، وبالتحسين والتقبيح العقليين، وبقياس الغائب على الشاهد.

وقد اطلع عليه موسى بن ميمون كما اطلع على آراء ابن المقمص فى كتابه «عشرون مسألة» الذى أخذ فيه بآراء المعتزلة (19) وخاصة مسألة الصفات، وانتقلت هذه الآراء الى اللاتين من خلال الكتب العبرية (20) وكذلك اسحاق الاسرائيلى فى كتابيه كتاب «الحدود» وكتاب «العناصر» اللذين ترجما الى العبرية واللاتينية، وفيهما عناصر كلامية اعتزالية، واشعرية، وهو فيلسوف عاش فى المغرب الاسلامى فى مدينة القيروان، ونجد فيلسوفا قيروانيا آخر، وهو نسيم بن يعقوب الذى تأثر بالكلام الاعتزالى فى الصفات والاستطاعة ونفى التجسيم، والتشبيه، وأعطى للعقل أولوية على النقل فى تفسيره للتلمود (21).

ان مدرسة القرائيين اليهودية، هى فى الواقع مدرسة اعتزالية المنهج، وأهم أعضائها يوسف بن الصديق (22) (ت 1149 م) الذى أخذ فكرة الارادة المطلقة عن الاشاعرة، وأبو يعقوب البصير، الذى أخذ بنظرية الجزء الذى لا يتجزأ وبفكرة الاجتماع والافتراق والحركة، والسكون، وبالخلق من العدم، وصرح ابن ميمون ان هؤلاء القرائين انما هم معتزلة فى آرائهم، وانتقلت الى الاوروبيين كذلك فكرة الارادة المطلقة خلال كتاب «ينبوع الحياة» لابن جبيرول، عن طريق دنس سكوت الانجليزى ومن خلال نقد يوسف بن الصديق، ليوسف أبى يعقوب البصير (23)، وانتقل هذا عن طريق دلالة الحائرين، الى اللاتين من النصارى.

واذا كان موسى بن ميمون يمثل مدرسة ابن رشد، فى رده على الاشاعرة من المتكلمين، فان يهودا هالفى (1140 ــ 1185) فى كتابه «خوزارى» يمثل مدرسة الغزالى اذ أنه اعتمد على الغزالى فى نقده للفلاسفة (24) وذلك كله اعتمادا على كتاب تهافت الفلاسفة.

هذا وقد ترجم كتاب «دلالة الحائرين» لموسى ابن ميمون الى اللاتينية (25) بعد ترجمته الى العبرية سنة 1204 م، ونشرت الترجمة اللاتينية فى باريس سنة 1520 م، وذكره توما الاكوينى، والبرت الاكبر فى كتبهما.

لخص موسى بن ميمون فى هذا الكتاب آراء المتكلمين من المعتزلة والاشاعرة، ونقدهم على نحو ما فعل ابن رشد فى نقده للاشعرية، فى مختلف كتبه وشروحه، وكان هذا الكتاب قد نشره Munk فى حروف عبرية ولغة عربية مترجما له الى الفرنسية، ولكن عثر الدكتور

(17) Introduction de la Pensée juive du Moyen-Age, Paris 1947, p. 48.

(1) سعاد علي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 86.

(19) Munk, Mélanges de la philosophie juive et arabe, p. 441.

(20) Georges Vajda, Introduction, p. 60 - 62.

(21) المرجع نفسه ص 63.

(22) فى كتابه «العالم الاكبر» الذى ترجم الى العبرية، وكان يرد على علماء الكلام فيه ردا جدليا باستعمال آراء الاشاعرة (سعاد علي عبد الرزاق) المرجع المذكور، ص 106.

(23) Georges Vajda, Introduction, p. 107.

(24) Georges Vajda, Introduction, p. 112 - 118.

(25) لا ندرى متى ترجم الى اللاتينية بالدقة ولكنه، يمكن القول أنه ترجم قبل منتصف القرن الثالث عشر (سعاد علي عبد الرزاق)، ص 141. فى الهامش.

علي سامي النشار على مخطوطه بلغة عربية وحروف عربية (26) وحروف عربية ثم نشره الاستاذ حسين اتاى ، بصورته العربية لغة وحروفا ، سنة 1972 بأنقره . ونحن نورد هنا بعض النصوص التي تشير الى أخذ القرائيين اليهود بطريقة المعتزلة . ومعرفة موسى بن ميمون لجملة آراء المتكلمين المسلمين ، قال : « ... وعند القرائيين فهي أمور أخذوها عن المتكلمين من الاسلام وهي نزرة جدا بالاضافة الى ما ألفته (فرق) الاسلام في ذلك ، واتفق أيضا أن أول ابتداء الاسلام بهذه الطريقة ، كانت فرقة ما وهم المعتزلة فأخذوا (27) عنهم أصحابنا ما أخذوا ، وسلكوا في طريقهم، وبعد ذلك بمدة حدثت في الاسلام فرقة أخرى ، وهم الاشعرية ، وحدثت لهم آراء أخرى ...

واعلم أن كل ما قالته (فرق الاسلام في تلك المعاني والمعتزلة منهم ، والاشعرية هي كلها آراء مبنية على مقدمات (28) .

وقال في عرضه لمنهج المتكلمين كاملا : « ورأيت أن أذكر لك مقدمات المتكلمين العامة ، التي يثبتون بها حدث العالم ، ووجود الاله ، ووحدانيته ، ونفي الجسمانية ، وأريك طريقهم في ذلك ، وأبين لك ما يلزم عن كل مقدمة منها »(29). ويذكر عدد هذه المقدمات ويحصرها في اثنتي عشرة مقدمة ، فيقول : « المقدمات العامة التي وصفها المتكلمون على اختلاف آرائهم ، وكثرة طرقهم في هذه الاربعة مطالب اثنتا عشرة مقدمة ، وها أنا اذكرها لك ، ثم أبين لك معني كل مقدمة منها ، وما يلزم عنها (30) .

وقال : « فلما نظرت في كتب هؤلاء المتكلمين حسبما تيسر لي ، كما نظرت في كتب الفلاسفة أيضا حسب طاقتي وجدت طريق المتكلمين كلهم واحدا بالنوع ، وان اختلفت أصنافه ... هذا طريق كل من تكلم من الاسلام بشيء من هذا الغرض ، وكذلك الحاكون لهم في ملتنا ، الذين سلكوا طريقهم » (31) .

ونقده للمتكلمين قائم على أساس نقد ابن رشد لهم ونقل خلال ذلك كله آراء هامة أثرت فيما بعد في الفلاسفة في العصور الوسطى وفي العصر الحديث ، مثل عدم الضرورة في العلية أو المادة كما يعبر عنها الاشاعرة ، والغزالي خاصة، وهي فكرة أخذ بها هيوم والخلق المستمر الذي أخذ به ديكارت ومالبرانش ومن قبلهما توما الاكويني .

وهنا أود أن اذكر جدولا يشتمل على عدد المرات التي ورد فيها ذكر المعتزلة ، والاشاعرة، والمتكلمين ، والاسلام في كتاب دلالة الحائرين (32) :

(26) بدأنا في تحقيقها معا وبمشاركه السيدة سعاد علي عبد الرزاق في السنوات 1968 ـ 1970 ولكن حالت الظروف من اكماله ، وبلغنا بعد ذلك أنه نشره الدكتور أتاى حسين بأنقره سنه 1972 في منشورات كلية الآداب ، جامعة أنقره ، وهي نشرة محققة تحقيقا دقيقا وعليها تعليقات علمية مفيدة .
(27) كذا في الاصل . والصحيح : فأخذ .
(28) موسى بن ميمون ، دلاله الحائرين . أنقره 1972 ، ص 184 .
(29) المصدر نفسه ، ص 189 .
(30) المصدر نفسه ، ص 199 .
(31) هذا تصريح واضح بتاثر اليهود بالمدارس الكلامية الاسلاميه .
(32) بالاعتماد على نشرة الدكتور حسين أتاى لدلالة الحائرين وفهرسته لاسماء الفرق وغيرها .

الاســـلام	المتكلمـــون	علـم الكـلام
ص : 184	ص : 7 ، 138 ، 174 ، 178 ، 184 ، 185 ، 186 ، 188 ، 189 ، 190 ، 199 ، 215 ، 216 ، 217 ، 218 ، 225 ، 228 ، 229 ، 273 ، 313 ، 314 ، 320 ، 329	ص : 185
185		211
186		
355		
327		
5 مرات	23 مـرة	2 مرتان

المعتـزلـــة	الاشاعـرة او الاشعريـة
ص : 184	ص : 184
206	208
208	209
209	527
528	529
529	530
530	560
531	
532	
560	
10 مرات	7 مرات

وعرف توما الاكوينى (ت 1274 م) هذا كله، كما عرف نقد ابن رشـــد للمتكلمين ، فسلك سبيله فى نقدهم فى كتابه « الخلاصة في الـــرد على الوثنيين الاجانب » ، والكتـــاب الثالث ، الفصل ، 97 ، ووقع التنصيص فى هامش هـــذا الكتاب على أنه يقصـــــد ما ذهـــب اليه موسى ابن ميمون وذلك فى الجزء الثالث الفصل 25 ، فنقد المتكلمين الذين يذهبون الى نفى العلية ، ورد الامور الى ارادة الله تعالى ، وصرح بـأن هـؤلاء هـم المتكلمين (1) مـن المسلمـين (2) « qui est error loquentium in lige Sarrace norum » وأشار الى المصدر الذى نقل هذا ، وهو موسى بن ميمون « Ut Rabbi Moyeses dicit » وذكر أمثلة تبين انه اطلع

(1) يقصد المتكلمين . (2) يقصد المسلمين .

على الغزالى ، مثل كلامه عن النار ، والاحراق الذى لم يرد فى دلالة الحائرين ، ويرى جيلسون Gilson ان كلام توما يدور حول المتكلمين وآرائهم، ابتداء من الفصل 65 بالباب الثالث(*)ووردت فيه هذه العبارة «Quorumdam loqnentinumin lege Maurorum» (36) التى تنص على المتكلمين المسلمين .

واذا كان توما الاكوينى قد وصله ذلك كله ، فانه قد وصله أيضا ابن رشد ، فى كتبه الاصلية ، والشروح على أرسطوا ، وخاصة كتاب « تهافت التهافت » الذى نقد فيه ابن رشد الغزالى ، فى مشكلة العلية وغيرها ، وكذلك فصل المقال ، وما ضم اليه من مسألة « العلم » وذلك أن آسين بلاسيوس يذكر لنا أن ريمون مارتن ذكر فى كتابه « صراع الايمان » ردا على اليهود والمسلمين هذه الكتب ، مع « المقصد الاسنى » و « المنقذ من الضلال » ، و « ميزان العمل » ، و « الاحياء » و « مشكاة الانوار » للغزالى ، والدليل على أنه اطلع على كتاب تهافت الفلاسفة ، أنه يأخذ منه الامثلة ، مثل النار والاحراق (37) ، وقد اثبت أستاذنا الدكتور محمود قاسم أن توما الاكوينى نقل آراء ابن رشد الحقيقية، وأخذ بها بالرغم من نقده له.

وقد نقل آراء الغزالى (38) أيضا حسداى كريسكاس (1340 ــ 1410) فى كتابه «نور الله» الذى هاجم فيه الفلاسفة بعنف وقد حاول اليهود أن يخفوا تأثير الغزالى فحذف المترجم لكتاب « المقاصد » مقدمته وخاتمته التى ينص فيها على كتاب التهافت ، الذى يكمل به كتاب المقاصد ، ليرد على الفلاسفة (39) .

وقد ذكر ريمون مارتن فى كتابه : Pugio فى الرد على المسلمين واليهود وأعلن فيه ان الغزالى ليس فيلسوفا ، وانما قضى حياته فى الرد عليهم ، وأن ابن رشد هاجمه بعد وفاته ، ويذكر كتاب التهافت Ruina philosophorum وذهب Salmon الى أنه نقل فصولا كاملة من كتب الغزالى (40) وذكر كتاب « المنقذ من الضلال » بعنوان Liber eripit ab error ورسالة ابن رشد الى صديقه فى العلم الالهى ، التى ضمها ابن رشد الى فصل المقال بعنوان Epistala ad Amicum وتفطن روجر بيكون الى أن الذى يمثل آراء الغزالى هو تهافت الفلاسفة ، لا « المقاصد » وأورد نصوصا منه ، وذكر اسم التهافت بعنوان :
« De Contraversus philosepthorum »

وذكر أن المقدمتين قد اخفيتا عن العوام (41) هذا وقد ترجم (42) كتاب التهافت الى اللاتينية فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى ونشرت سنة 1497 م ، وتمت ترجمة أخرى سنة 1527 م ، وأغلب الظن أنها تمت عن الترجمة العبرية ونشرت بعنوان : Destructis philosophiae (43)

(*) Gilson : « Pourquoi Saint Thomas a critiqué Saint Augustin », in Archives d'histoire doct. et litt. du Moyen-Age, 1926-1927. i. II.

(36) يريد : المسلمين .

(37) سعاد علي عبد الرزاق ، الرسالة المذكورة ، ص : 153 ــ 154 .

(38) ترجم كتاب « تهافت الفلاسفه » للغزالى الى العبرية تلميذ حسداى هذا « سرفيا هاليفى بن اسحاق » وذلك بعد ترجمه تهافت التهافت لابن رشد .

(39) عثر Salomon على هذه المقدمة ونشرها فى بحثه Algazel et les Latins, in archives 1935 et 1936, p. 103.

(40) سعاد علي عبد الرزاق . ص 276 .

(41) Boueges, « Roger Bacon a-t-il lu les livres arabes », in archives 193, 311, 15.
وانظر : سعاد علي عبد الرزاق ، الرسالة ، ص 278 .

(42) ترجمة Agostino Nifo

(43) عبد الرحمن بدوى ، مؤلفات الغزالى ، القاهرة ، 1961 ص 54 .

ومن جهة أخرى فان الافكار الاساسية فى « تهافت الفلاسفة » موجودة فى « تهافت التهافت » الذى ترجم الى العبرية ، واللاتينية ، واطلع عليه الفلاسفة الاوروبيون فى ذلك العصر ومن بعده ، كما ان فكرة الشك المنهجى، التى ذكرها الغزالى فى كتابه « ميزان العمل » وهى « من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر بقى أعمى » والتى عاناها فى كتابه « المنقذ من الضلال » وصلت اليهم ، ذلك ان كتاب « ميزان العمل » قد ترجمه الى العبرية ابراهيم ابن حسداى بين سنة 1235 وسنة 1240 وكانت هذه الترجمة معروفة لدى المتعلمين اليهود وتأثر بها يوحنا بن اسحاق الامانو فى كتابه « مستخلصات من الغزالى ، وابن طفيل ، وابن رشد » (44) .

وترجم اسحاق بن يوسف الفاسى كتاب « مشكاة الانوار » الى العبرية وترجم مرة أخرى اليها أيضا (45) كما اقتبس ريمون مارتن من كتاب « المنقذ من الضلال » وذكره باسمه Leber que eripet ab errore وكتاب « القسطاس المستقيم » للغزالى ترجمة يعقوب بن محير (ت 1308) وترجم كتاب «القياس» من كتاب « المعيار » الى العبرية مخطوط بالفاتيكان رقم 426 (46) ، وكان كتاب دلالة الحائرين معروفا لدى اليهود الذين رحلوا الى هولندة ، فارين من الاندلس ، بسبب اضطهاد النصارى لهم وحملوا معهم الكتب الاسلامية ، ويذكر لنا جلسون Gilson فى كتابه « وحدة التجربة الفلسفية » (47) ، ان ديكارت انطلق من بدايات مماثلة لبدايات الاشعرى وانتهى الى نتائج متشابهة ، وهى نفس النتائج التى انتهى اليها مالبرانش الذى هو قسيس منقطع لدراسة الفلسفة المدرسية ، لابد ان يكون قد اطلع على آراء المتكلمين من خلال « دلالة الحائرين » وغيره وأن رد مسألة الزمان والحركة عند الاشعرى الى المكان ونفى العلل الثانوية المتوسطة ، آراء أشعرية انتقلت الى ديكارت الذى أخذ بالخلق المستمر أيضا ، وأشار الى أن جيلسون قرر ان موقف مالبرانش ، هو موقف المسلمين بالاضافة الى ان ديكارت ، وهو تلميذ لليسوعيين الدارسين للفكر الاسلامى ، قد درس بمدرسة « لافليش » التى هى مدرسة اسكولاستيكية وأغلب الظن أنه درس كتب توما الاكوينى ، وهو الاستاذ المشهور فى باريس ، وروما ، وغيرهما وبين لنا أن دنبرج Van Denbergh أن الفيلسوف الشاك Montaigne وهو أستاذ ديكارت فى الشك قد ورد فى كتابه « Pensées » كلام عن الخيال ، وهو نفس كلام الغزالى فى «التهافت» .

« اذا مشى على جذع محدود على فضاء طرفاه على حائطين اشتد توهمه للسقوط ، فانفعل الجسم بتوهمه وسقط ولو كان ذلك على الارض، لمشى عليه ولم يسقط » (48) .

وكلام مونتاى أقرب الى كلام الغزالى منه الى كلام ابن سينا (49) الذى ذكر أيضا هذه العبارة، وقد أخذها باسكال من كتاب مانتانى (50) Montaigne ، واطلع ديكارت على مناقشة توما

(44) Georges Vajda, L'Am Le de Dien dans la théologie juive du Moyen-Age, Paris 1957, p. 284-85.

(45) عبد الرحمن بدوى ، مؤلفات الغزالى ، ص 196 .

(46) المرجع نفسه ، ص 329 .

(47) The Unity of the philosophical experience, p. 44.

(48) التهافت ، ص 237 .

(49) Van Denbergh, Montaigne et Avicenne, p. 30. L'apologie de Raymond Sebond.

(50) انظر سعاد علي عبد الرزاق ، الرسالة ، ص 358 .

الاكوينى للاشاعرة ، تبعا لذلك كله ، وعرفها ، وكان يتجه الى تغيير آراء توما الاكوينى ، فأخذ بآراء خصومه الاشاعرة ، فى الخلق المستمر الذى ذهب اليه فى المنهج (51) وكذلك فى « مبادىء الفلسفة » (52) .

وينفى الطبائع كما نفاها الاشاعرة ، ويجعل المادة امتدادا جامدا ، وقاصرا قصورا ذاتيا ، وأن الله هو الفعال لكل شيء (53) وهو ما نجده عند توما الاكوينى فى كتابه « الرد على الامم ».

ان مسألة الشيطان الماكر نفسها التى افترضها ديكارت موجودة لدى الغزالى ، اذ يقول اعلم أن الشيطان مسلط على كل ناظر ، ومشغوف بتلبيس الحق وتغطيته ، ومصر على الوفاء بقوله: « **فبعزتك لاغوينهم أجمعين ...** » .

ووجه الاستعانة أن تنفقد بنور العقل ، وسراجه الزاهر مداخل الشيطان في النظر (54). وفى رسالة ديكارت الى الاب Mesland يذكر فيها أن الله هو الخالق الوحيد وأن ارادته مطلقة ، وان الاجسام لا بقاء لها دون ارادته وهو يخلق الجسم ويحركه باستمرار (55) .

وذلك كله نظر اسلامى واضح ، وأخذ بذلك تلميذه مالبرانش .

ان هيوم أيضا أخذ بفكرة الغزالى فى العلية الطبيعية ، ونقدها ، ذلك أنه تلميذ لأوكام الذى نجده قد استعمل مصطلحات الغزالى مثل Habitus « العادة » ويرى العلاقة بين العلة والمعلول ما هى الا تعاقب مطرد بين ظاهرتين « A keyular Sequence betwen Twophenomen » (56) وأن الطبيعة خاضعة لقدرة الله المطلقة ، وذكر مثال النار والاحتراق ، واستعمل هيوم اصطلاح العادة كما أن جون استوارت مل J.S. Mill آخذ بهذا المثال : النار والاحتراق ، هذا وأن الرازى فخر الدين (توفى 606 هـ) الذى هو اشعرى ونهج منهج الغزالى ، فى نقد الفلسفة ذكره ريمون مارتن ونص على كتابه « المباحث المشرقية » Libro investigationum oreintalums (57)

ويمكن القول بأن المنهج الاسلامى انتقل الى أوروبا ، الى فلاسفتهم وعلمائهم ، مما دعا مؤسس المنهج الوضعى أوجست كونت Auguste Comte الى القول : « ان الفكر الاوروبى الحديث تطور بفضل ادخال العرب العلوم الوضعية الى أوروبا، فيما ينقل جلسون نفسه عنه (58) ، بل ان هجوم رجال النصرانية على فقهاء المسلمين ، قلدوا فيه الغزالى الذى نقدهم فى كتابه « الاحياء » مما أدى الى احراقه (59) فى الاندلس ، وكان ذلك حدثا كبيرا يعلمه جميع الناس فى الاندلس، وأكثر من ذلك فان النصارى عرفوا الفرق الاسلامية ومذاهبها لا فى صورتيها الاعتزالية والاشعرية فحسب ، بل فى صورتها الشيعية أيضا ، اذ حدثنا ابن حزم فى كتابه « الفصل فى الملل والاهواء والنحل » (60) أثناء مناظرته

---

(51) ديكارت مقال في المنهج ، ترجمة محمد الخضيرى ، ص 172 .

(52) ج 1 ، الفقرة 21 .

(53) سعاد علي عبد الرزاق ، الرسالة ، ص 372 .

(54) الغزالى ، محك النظر ، ص 83 .

(55) سعاد علي عبد الرزاق ، الرسالة ، ص 369 ، واعتمادا على نقل : N. Smith, New Studies in philosophy of Descartes, London 1952, p. 166 - 167.

(56) Gilson, History of christian philosophy, p. 496. سعاد علي عبد الرزاق ، الرسالة ، ص 328 .

(57) Raymond Martini, Fuyco I.C.V. p. 276.

(58) Gilson, Etudes de philosophie médiévale, p. 5.

(59) وربما يكون هذا الحادث هو الذى نبه النصارى الى الغزالى وجعله مشهورا عندهم .

(60) الفصل ، ج 2 ، ص 78 ، ج 4 ، ص 182 ، الطبعة الاولى .

للنصارى واليهود أن أحد القسيسين عارضه بمذهب الشيعة ورأيهم في القرآن الكريم ان النصارى واليهود انتقل اليهم التراث الاسلامى في نصوصه الاصلية ، ومصادره الاساسية من قرآن وسنة ، وعقائد ، ومع ذلك كله ظلت الكنيسة طوال القرون تحرف حقائق الاسلام ، وتمطى حقائق مزيفة ، مزورة عن الاسلام . ويحاولون أن يخفوا الافكار التى تأثروا بها ، والمنهج الذى أخذوا به من الاسلام وحضارته اننا نستطيع القول بأن لوثر نفسه تأثر بالاسلام فى دعوته الاصلاحية وكان متأثرا بصفة خاصة بابن رشد الذى بقى أثره فى التوماوية الى يومنا هذا . ان كانط الفيلسوف الالمانى ذكر فى كتابه « الدين فى حدود العقل » محمدا صلى الله عليه وسلم ووصفه وذكر الاسلام والعجيب أنه كتب على شهادته الجامعية عبارة اسلامية وهى : « بسم الله الرحمن الرحيم » وينبغى أن نعترف بأن هذا الموضوع يحتاج الى بحوث كثيرة موثقة، لكشف النقاب عن الحقائق الكثيرة الدفينة فى المخطوطات اللاتينية والعبرية والتى لم يستغلها الباحثون المسلمون بما فيه الكفاية الى زماننا هذا ، ولعل بعض الدارسين يوجه عنايته لهذا العمل الذى يحتاج الى معرفة اللاتينية والعبرية واللغات الاوروبية الاخرى التى كتب بها فى هذا الموضوع .

ويسعدنى أن أشير الى أستاذنا المرحوم د. علي سامى النشار الذى وجه طلابه للبحث فى هذا المجال وكانت له فيه نظرة نافذة ، وتنبه تنبها فائقا الى مسار الثقافة الاسلامية فى صورتها الكلامية والفلسفية ، وخاصة المنهجية الى الحضارة الاوروبية الحديثة ، وكتابه « مناهج البحث عن مفكرى الاسلام » أكبر برهان على ما قلناه . وعلى الله قصد السبيل .

د. عمار طالبى

أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الجزائر
ورئيس جامعة الامير عبد القادر
للعلوم الاسلامية بقسنطينة

(61) Kant, La religion dans les limites de la simple raison. 1793, Vrin, Paris 1943, p. 230-40.